The realistic story of the Arab essays researcher

Prof. Dr. Abdullah Habib Al-Tamimi
University of Qadisiyah
E-mail: abdallah.kadhem@qu.edu.iq

Researcher :Rasha Falah Hasan
University of Qadisiyah
E-mail:Rshaflahalshmry@gmail.com

Abstract:

Oral literature is a kind of creative creation in which writers express themselves, dreams, pains, ambitions and hopes, it is the product of the group that has been inherited by society generation after generation, and oral literature is divided into several types and forms: including proverbs, puzzles and legends, tale and others, and the tale is one of its most important forms and types Expressive, it is a summary of the experiences formulated for us through the generations, as it came in a wonderful narrative template, full of lessons, judgment, exhortation, and optimal values, aimed at criticism and construction of all joints of society, hence the goal of this research is to reveal the negative manifestations in society in the realistic tale when the Arab articles have been chosen on (Rafi'i and Zayat and Mazni) because of the tale of a clear presence in their articles, as they dealt with the negatives and defects in society, crude.

Key words: story, realistic story, criticism of negatives, moral and human contents and values

الحكاية الواقعية عند المقاليين العرب

أ.د. عبد الله حبيب كاظم
جامعة القادسية / كلية التربية
E-mail: abdallah.kadhem@qu.edu.iq

الباحثة: رشا فلاح حسن
جامعة القادسية / كلية التربية
E-mail: Rshaflahalshmry@gmail.com

الملخص:

يُعدّ الادب الشفاهي نوعاً من الخلق الإبداعي يعبر فيه الادباء عن ذاتهم واحلامهم وآلامهم وطموحاتهم وامالهم، فهو نتاج الجماعة الذي توارثه المجتمع جيلاً بعد جيل، و الادب الشفاهي ينقسم على أنواع واشكال عدة: منها الحكاية والامثال، والألغاز والاساطير وغيرها، وتُعد الحكاية من أهم اشكاله وصنوفه التعبيرية، فهي خلاصة التجارب المصوغة لنا عبر الأجيال ، إذ جاءت بقالب قصصي بديع، مليء بالعبر والحكم والموعظة، والقيم المثلى ، هدفها النقد والبناء لكل مفاصل المجتمع ، ومن هنا هدف هذا البحث هو الكشف عن المظاهر السلبية في المجتمع في الحكاية الواقعية عند المقاليين العرب وقد وقع اختيارنا على (الرافعي والزيات والمازني) لما للحكاية من حضور جلي في مقالاتهم ، إذ تناولوا فيها السلبيات والعيوب في المجتمع ، فجاءت حكاياتهم على اشكال ومضامين مختلفة هدفها النصح والإرشاد عبر أسلوب أدبي بليغ ، يحمل في طياته المضامين الاجتماعية كالنبل والأخلاق والإنسانية ، ويعالج المظاهر السلبية مثل الكذب والغرور والخداع وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الحكاية، الحكاية الواقعية، نقد السلبيات، المضامين والقيم الأخلاقية، والإنسانية.

الحكاية الواقعية عند المقاليين العرب

مدخل:.

تتناول الحكاية الواقعية القضايا والمشكلات الاجتماعية المتمثلة بالواقعية، إذ يمثل الواقع المصدر الرئيس في هذه الحكاية ، فالشخصيات والموضوعات الواقعية هي المحور الأساس الذي تدور عليه الحكاية، فتهتم بالحياة الحاضرة التي نعيش فيها، وتناقش القضايا والمشكلات التي تخص المجتمع، مما تشكل مادة ثرة لدى الكتاب، وكلما كانوا قريبين من المجتمع، كلما قدموا لهم حلولاً لمشكلاتهم وقضاياهم وبهذا يضمنون الخلود لأدبهم.

تدور الحكاية الواقعية ((**حول سلوك الناس وتصرفاتهم، وعلاقاتهم فيما بينهم، وما يمكن أن يحصل من خلال هذه العلاقات، وإن كانت في قالب جاد وواقعي**)) (عاطف عطيه، ٢٠١٦ :٢٢٩)، فهي قطعة من الحياة تتحرك فيها الشخصيات طبقاً لأحداثها، وتميل تلك الحكايات الى الواقعية والحقيقة ((**بحرفيّتها وموضوعيّتها... وتصورها بكل صدق وامانة نقلاً للواقع الموضوعي كما هي موجودة واقعة**))(نواف نصار، ٢٠٠٧:٢٢٥)، مع لحاظ بإضفاء عنصر الخيال الخلاق خلقاً فنياً مقروناً بالصفات الواقعية الحقيقة، فالواقعية لا تنافي لجوء المبدع الى خياله وافكاره ومزجه بالواقع.

تتخذ الحكاية الواقعية احداثها من الواقع الذي يعيشه المجتمع، وتكون مادتها الخام من واقع المجتمع النفسي والاجتماعي الذي تربطه بالواقع أشخاص واقعيين لهم حضورهم عند المتلقي، تُولد من رحم الواقع وهمومه، تُجسده وتُعبر عنه، فحكايات الواقع الاجتماعي ((**تشمل موضوعات من الواقع الذي نشعر به، وأبطالها واقعيون نحس بهم وبمعاناتهم النفسية**))(مرتضى عليوي، ٢٠٢٠: ١٠٢)، أي تجسد الواقع ولا تخلو من هدف أوغرض ينعكس على المجتمع، متمثلاً في تغيير العادات السلبية والصراع الطبقي وتعزيز القيم الأخلاقية في المجتمع والمحافظة على نسيجة الاسري.

تنشأ لدى الانسان حاجة إلى الحكاية من أجل تعزيز الدوافع الذاتية له، أو لمعالجة القضايا والهموم الاجتماعية فيكون دوره التقويم والإصلاح، ولأن ((**الادب الشعبي بكل انواعه تعبير عن فعل ابداعي انساني في موضوعات إنسانية تغذي حس الاستماع والاستمتاع، وتحاكي نوازع بشرية تجلب الحنين، وتثير العاطفة، وتفجر في الوجدان شعوراً انسانياً مفرحاً أو محزناً وهما حاجتان لابد للإنسان أن يشبعهما، لأنهما تلازمانه طيلة حياته، كما ان الحكاية عن البطولات تشبع حاجة الانسان إلى الشعور بالقوة لتساوي العلاقة مع ضعفه أمام الظلم والاستبداد**))(عاطف عطيه، ٢٠١٦ :٧٠)، وبهذا فإن المبدع يعالج لنا الواقع المأزوم بالحكاية ويتوسل ذاكرته وافكاره لتقويم الواقع واصلاحه.

والحكاية الواقعية عند الفنان، ((**هي الحياة التي حوله مضافة اليها شخصية هذا الفنان نفسه، أو هي الحياة كما تعكسها مرآة هذا الفنان بالشكل الذي يراه، فلا ينبغي أن ننتظر من الكاتب الواقعي أن**

يجعل نفسه آلة لا تحس، ولا تشعر، أو أن يصور لنا الحياة تصويراً فوتغرافياً، كما لا ينبغي لنا أن ننتظر من ألا يقص علينا غير ما وقع بالفعل، فليس هذا هو المقصود، بالواقعية في الادب، وحسبنا منه أذن أن يقنعنا بأن هذه الحوادث التي قصها علينا ممكنة الوقوع، وأن هذه الشخصيات التي تحدث عنها من الجائز أن توجد في الحياة))(عبد اللطيف حمزة، ٢٣٥)، وقد تمثلت الحكايات الواقعية في المقالة على اشكال ومضامين مختلفة، إذ رصد المقاليون في النص المقالي العادات والتقاليد والغرور والتكبر والفقر والهموم والالام والمشكلات الاجتماعية المختلفة، وكان بعضها يحاكي الواقع وتمثلاته ، فهي ترصد السلبيات والعيوب في المجتمع، والهدف منها التقويم والإصلاح، ففي مقال(اجتلاء العيد) يصور لنا الرافعي حكاية العيد، وما فيها من طقوس جميلة، ويرصد لنا حركة الأطفال البريئة، والى تقاليد الناس في تلك الطقوس، فهو **((يوم تعم فيه الناس ألفاظ الدعاء والتهنئة مرتفعة بقوة الهية فوق منازعات الحياة، ذلك اليوم الذي ينظر فيه الانسان إلى نفسه نظرة تلمح وسعادة وإلى أهله نظرة تبصر الاعزاز، والى داره نظرة تدرك الجمال، والى الناس نظرة ترى الصداقة))**(الرافعي ج١ ٢٠٢٢ : ٣١)، ثم ينعطف بعد ذلك مصوراً لنا الأطفال والبهجة التي تلوح في وجوههم الطفولية، وبين الكبار الذين ملأت قلوبهم في الغل والكراهية، وهي رسالة إلى الواقع الاجتماعي أن يشرع في الحب والسلام ونبذ العنف والكراهية، فيوم العيد يوم مميز لدى المسلمين، ولا بدّ أن تكون روح التسامح حاضرة فيه، لذا يسعى الاديب إلى محاربة كل ما يخالف الواقع أو يعارضه ومن بين هذه الأدوات هي السخرية؛ لأن **((الهدف الأول للأدب الساخر هو هدف تصحيحي سواء على المستوى الأخلاقي أم الجمالي، ويختلف في منهجه وتوجهه عن كل أساليب التعبير الأخرى، التي تهدف إلى الرفض او الرفض او الشجب او التقليل من شأن الموضوع المطروح أو التحدث بأسلوب مباشر))**(نبيل راغب، ٢٠٠٠:٤٧)،وبهذا يكون الاديب مراقبا وناقدا ولديه حس عال في ادراك نقائض المجتمع، فيلجأ إلى السخرية والتهكم بهدف التصحيح والتقويم ؛ وهذا ما نلمسه عند الرافعي؛ إذ يقول : **((تأملت الأطفال وأثر العيد في نفوسهم التي وسعت من البشاشة فوق ملئها، فإذا لسان حالهم يقول للكبار: ايتها البهائم، اخلعي ارسانك ولو يوميا...أيها الناس انطلقوا في الدنيا انطلاق الأطفال يوجدون حقيقتهم البريئة الضاحكة، لا كما تصنعون إذ تنطلقون انطلاق الوحش يوجد حقيقته المفترسة، احرار حرية نشاط الكون ينبعث كالفوضى، ولكن في أدق النواميس، يثيرون السخط بالضجيج والحركة، فيكونون مع الناس على خلاف، لأنهم على وفاق مع الطبيعة))**(الرافعي ج١ ٢٠٢٢: ٣٤)، حكاية الأطفال، حكاية البراءة والعذوبة، وهي تنقل لنا العفوية والحب والتسامح، فحتى في معاركهم لا تتحطم فيها الا اللّعب **((أما الكبار فيصنعون المدفع الضخم من الحديد، للجسم اللين من العظم، ايتها البهائم، اخلعي ارسانك ولو يوماً))**(الرافعي، ٢٠٢٢: ٣٤)، ثم يختم الحكاية بحسرة كبيرة وبتهكم شديد على ما يفعله البالغون من غفله وبالابتعاد عن رضا الله إذ يقول: **((فيا اسفاه علينا نحن الكبار!**

ما ابعدنا عن سر الخلق بآثام هذا السر، وما ابعدنا عن سر العالم بهذه الشهوات الكافرة التي لا تؤمن الا بالمادة يا اسفا علينا نحن الكبار! ما ابعدنا عن حقيقة الفرح! تكاد آثامنا والله تجعل لنا في كل فرحة خجلة...))(الرافعي ج١ ٢٠٢٢ :٣٥).

لكل أديب لغته وطرائقه الخاصة في التعبير فهي؛ **((رسالته إلى المجتمع، التي من خلالها يستطيع أن يوصل كل مالديه، فاللغة هي أساس الأسلوب الادبي، فلا بد للأديب من اختيار الفاظه بدقه، فالعلاقة التي يقيمها الاديب بين مفردات اللغة تعكس صورة العلاقات في العالم الذي أوجده هو))**(ادونيس، ٢٠٠٥: ٢٣٥) عبر الأسلوب الادبي البارع، في مقال، (في الربيع الأزرق)، يتحدث الرافعي عن واقعه الحزين، وهي حكاية عن كيفيّة صُنع السعادة، يسردها لنا بتفاصيل دقيقة وبلغة بليغة، وهو يشدو السعادة والبهجة عندما يطالع البحر والطبيعة بعيداً عن صخب المدينة، إذ يقول: **((نظرت إلى هذا البحر العظيم بعيني طفل يتخيل أن البحر قد مُلئ بالأمس، وأن السماء كانت إناء له، فانكفأ الاناء فاندفق البحر، وتسرحت مع هذا الخيال الطفلي الصغير فكأنما نالني رشاش من الاناء...))** (الرافعي ج١ ،٢٠٢٢ : ٥١) فهو يصف لنا أجواء البحر، وان في جمال النفس يغدو كل شيء جميلاً، وفي جمال النفس ترى الجمال ملازماً وضرورة من ضرورات الخليقة، ثم يرفدنا بفيض من الحكم والمواعظ إذ يقول : **((ليست اللذة في الراحة ولا الفراغ، ولكنها في التعب والكدح والمشقة حين تتحول أياماً إلى راحة وفراغ، لا تتم فائدة الانتقال من بلد إلى بلد الا إذا انتقلت النفس من شعور إلى شعور، فإذا سافر معك الهمُّ فأنت مقيم لم تبرح، يشعر المرء في المدن أنه بين آثار الانسان واعماله، فهو في روح العناء والكدح والنزاع، أما في الطبيعة فيحس أنه بين الجمال والعجائب الإلهية، فهو هنا في روح اللذة والسرور والجلال))**(الرافعي، ج١ ،٢٠٢٢ :٥٢) ،تلك اللحظات الجميلة التي تملأ الروح بهجة وسعادة بعيداً عن صخب الشوارع والمدن، يصورها لنا الرافعي عبر تصوير واقعه الجميل عندما لامست روحه البحر، وكيف أن الوقت لا يكون وقتاً بالساعات وانت في غمرة سعادتك، بل يمضي من دون هوادة، فيقول: **((في الساعة التاسعة أذهب إلى عملي، وفي العاشرة أعمل كيت، وفي الحادية عشرة أعمل كيت وكيت، وهنا في المصيف تفقدُ التاسعةُ وأخواتُها معانيها الزمنية التي كانت تضعها الأيام فيها، وتستبدل منها المعاني التي تضعها فيها النفس الحرة، هذه هي الطريقة التي تصنع بها السعادة احياناً وهي طريقة لا يقدر عليها أحد في الدنيا كصغار الأطفال))**(الرافعي، ٢٠٢٢، ٥٥) ،ومثل بعض الحكايات الاخر، يختم حكايته بحكاية مَثل ساخر إذ يقول: **((ما أصدق ما قالوه: إن المرئي في الرائي، مرضت مدة في المصيف، فانقلبت الطبيعة العروس التي كانت تزين كل يوم إلى طبيعة عجوز تذهب كل يوم إلى طبيب...))**(الرافعي، ٢٠٢٢: ٥٥) ، ونخلص مما سبق كيف أن الروح إذا مرضت وشقت، يمرض معها كل شيء، ويغدو كل شيء مريضاً.

يسعى الاديب البارع إلى ((**تحويل قضايا الصراع الاجتماعي والفكري والسياسي في عصره إلى قضايا أدبية تثير الخيال العام، وتحقق المتعة الفنية بدل اثارة العواطف الفئوية وتأجيج الأحقاد**)) (العمري، ٢٠١٢ : ١٣٤) ، وهكذا دأب المقاليون في حكاياتهم، في مقال (الطفولتان) حكاية واقعية تتحدث عن واقع يعيشه المجتمع، تمثلت في (عصمت)، الطفل المترف الذي تربى في العز والترف، ابوه مدير، وكان كلما سُئل عن عمل ابيه، يقول: ((**أنه مدير المديرية، لايكاد يعدو هذا التركيب، كأنه من غرور النعمة يأبى الا أن يجعل أباه مديراً مرتين، وكثيراً ماتكون النعمة بذيئة وقاحاً سيئة الادب في أولاد الأغنياء، وكثيراً ما يكون الغني في أهله غنى من السيئات لا غير، وفي رأي عصمت أن اباه من علو المنزلة كانه على جناح النسر الطائر في مسبحه إلى النجم، أما آباء الأطفال من الناس فهم عنده من سقوط المنزلة على أجنحة الذباب والبعوض**))(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٧٤)، كان كلما خرج في مشوار يتبعه جندي ليحرسه، فهو في رأيه(عصمت) يختلف عن كل الأطفال والا كيف يمشي الجندي وراءه ليخدمه، هذا الجندي اصبح موضع سخرية لدى المجتمع وهو يلاحق هذا الطفل ويحرسه، إذ يقول: ((**وهذا الجندي لوكان طريد هزيمة قد فر في معركة من معارك الوطن، وأريد تخليده في هزيمته وتخليدها عليه بالتصوير لما صور إلا جندياً في شارته العسكرية منقاداً لمثل هذا الطفل الصغير كالخادم، في صورة يكتب تحتها ((نفاية عسكرية!))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٧٥)، يتحدث الرافعي عن هذه الحكاية الواقعية في مصر، وما يثيره هذا المنظر من سخرية فيصوره قائلاً: ((**ليس لهذا المنظر الكثير حدوثه في مصر إلا تأويل واحد: هو أن مكان الشخصيات في المعاني، وإن صغرت تلك وجلت هذه، ومن هنا يكذب الرجل ذو المنصب فيرفع شخصه فوق الفضائل كلها، فيكبر عن أن يكذب فيكون كذبه هو الصدق، فلا ينكر عليه كذبه أي صدقه! ويخرج من ذلك أن يتقرر في الامة أن كذب القوة صدق بالقوة**))(الرافعي ج١ ، ٢٠٢٢: ٧٥)، فيتهكم من هذه الأوضاع التي تحدث، فمن خلالها يتم الاستعباد والخضوع، ومنها تنشأ طبيعة النفاق عبر تسلط صغارها على كبارها التي تنتهي بالتخلف والانهيار وتشظي المجتمع.

وذات يوم تخلف الجندي عن موعد الرّواح من المدرسة، فخرج عصمت فلم يجده، فتسكع في بعض طرق المدينة ليكون ابن آدم لا ابن المدير... حتى انتهى إلى مجموعة من الأطفال قد استجمعوا لشأنهم الطفوليب، فانتبذ ناحية ووقف يصغي اليهم متهيباً ، يقدم الرافعي في هذه الحكاية مجموعة من الاحداث مليئة بالعبرة والموعظة، فهؤلاء الصبيان كل منهم له حكاية مختلفة إذ يصور لنا الراوي ذلك قائلاً ((**وتسمّع فإذا خبيث منهم يعلمّ الاخر كيف يضرب إذا اعتدى أو اعتدى عليه، فيقول له: اضرب أينما ضربت من رأسه من وجهه من الحلقوم من مراق البطن، قال الاخر: واذا مات؟ فقال الخبيث: واذا مات فلا تقل إني أنا علمتك..!، وسمع طفلاً يقول لصاحبه: أما قلت لك: إنه تعلم السرقة من رؤيته اللصوص في**

السّيما؟ فأجابه صاحبه: وهل قال له أولئك اللصوص نحن الذين في السيما كن لصاً واعمل مثلنا ؟)) (الرافعي، ج١ ،٢٠٢٢: ٧٦)، ثم بعد ذلك يستطرد إلى حكاية الطفل الاخر الذي كانت حكايته تلامس حكاية (عصمت)، ابن المدير، **((وقام منهم شيطان فقال: ياأولاد البلد، أنا المدير، تعالوا وقولوا لي: (ياسعادة الباشا، إن أولادنا يريدون الذهاب إلى المدارس، ولكنا لا نستطيع أن ندفع لهم المصروفات) فقال الأولاد في صوت واحد: (يا سعادة الباشا، إن أولادنا يريدون الذهاب إلى المدارس، وكلنا لا نستطيع أن ندفع لهم المصروفات)، فرد عليهم سعادته: اشتروا لأولاكم أحذية وطرابيش وثياباً نظيفة، وأنا ادفع لهم المصروفات، فنظر اليه خبيث منهم وقال: ياسعادة المدير، وانت فلماذا لم يشتر لك أبوك حذاء؟ وقال طفل صغير: أنا ابنك يا سعادة المدير، فأرسلني إلى المدرسة وقت الظهر فقط؟))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٧٦)، فهذه الحكاية مليئة بالسخرية من الواقع المرير الذي يعانيه الأطفال في المدارس، من سوء الإدارة وعدم الاهتمام بالواقع التربوي، ولاسيما طلاب المدارس وحاجتهم إلى المأكل والملبس، بينما نجد ابن المدير والمسؤول يختلف تماماً عن بقية الأطفال، فله مكانة مرموقة وله الحرس الذي يحرسه، وله الملابس التي تميزه عن اقرانه، لأنه ابن المدير والمسؤول، وهذا ما ينقله الراوي عن (عصمت) ابن المدير، فيقول: **((تقدم فادغم في الجماعة وقال لهم: انا ابن المدير، فنظروا اليه جميعاً ثم نظر بعضهم إلى بعض وسفرت أفكارهم الصغيرة بين اعينهم وقال منهم قائل: إن حذاءه وثيابه وطربوشه كلها تقول إن اباه المدير، فقال آخر: ووجهه يقول إن امه امرأة المدير، فقال الثالث: ليست كأمك يا بعطيطي ولا كأم جعلص، فقال الرابع، يا ويلك لو سمع (جعلص)، فإن لكماته حينئذ لا تترك أمك تعرف وجهك من القفا!،...))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٧٨)، وهكذا كان عصمت بينهم وكانوا يحيطون به من كل جانب احاطة المعشوق بمعشوقة جميلة ليس لشيء، وإنما لأنه ابن المسؤول الذي يحمل النقود، **((يحاول كل منهم أن يكون المقرب المخصوص بالحظوة، لا من أجل أنه ابن المدير فحسب، ولكن من أجل أن ابن المدير تكون معه القروش، فلو وجدت القروش من ابن الزبال لما منعه نسبه أن يكون امير الساعة بينهم إلى أن تنفذ قروشه فيعود ابن الزبال))**(الرافعي ج١ ، ٢٠٢٢: ٧٩)، وحتى عندما يوجه له سؤال عن اسمه كان يقول انا ابن المدير، هذا الطفل المترف الرقيق لم يتعلم من خشونة الحياة ولا من اوجاع المجتمع، لأنه ولد هكذا في اسرة مترفة، فعندما تواجه مع هؤلاء الأطفال لم يلبث حتى اقبل يصرخ ويبكي، فهاجت في نفوسهم السخرية منه والهجوم عليه، لأنه لا يشبههم بشيء هذا الطفل المترف ابن المدير، فلما اجهش في البكاء قام له احدهم وهو (جعلص) وتحدث معه ببعض الحكم والمواعظ التي يسوقها لنا اثناء الحكاية،:إذ قال له **((لا تبك يا بن المدير، تعلم أن تكون جلداً فإن الضرب ليس بذل ولا عار، ولكن الدموع هي تجعله ذلا وعاراً، إن الدموع لتجعل الرجل أنثى، نحن يا بن المدير نعيش طول حياتنا إما في ضرب الفقر أو ضرب الناس، هذا من هذا، ولكنك غني يا بن المدير، فأنت كالرغيف (الفينو) ضخم**

منتفخ، ولكنه ينكسر بلمسة وحشو مثل القطن))(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٨١)، وبعد ان عاد العسكري الذي يحرس ابن المدير وشاهد الأطفال حول ابن المدير جن جنونه وراح يهرول صوبه، ((**لاحبا فيه ولكن خوفاً من ابيه، فما كاد يرى هذا العفر على اثوابه حتى رنت صفعته على وجه المسكين جعلص، فصعر هذا خده، ورشق عصمت بنظره، وانطلق يعدو عدو الظليم، يا للعدالة! كانت الصفعة على وجه ابن الفقير، وكان الباكي منها ابن الغني، وانتم أيها الفقراء، حسبكم البطولة، فليس غني بطل الحرب في المال والنعيم، ولكن بالجراح والمشقات في جسمه وتاريخه))**(الرافعي ج١ ، ٢٠٢٢: ٨٢).

يمتاز الأديب بكونه؛ ((**أجدر الناس بأن يكون ذلك الحيوان الاجتماعي الذي يتحدث عنه الفيلسوف القديم، فهو لا يعيش الا بالناس، منهم يستمد خواطره وارادته واليهم يوجه رسالته))**(طه حسين : ٨)، وهذا ما نجده عند المقاليين عندما يتناولون قضايا المجتمع المختلفة فهم يستمدون منه قضاياه ويعيدوا كتابتها بطرائق إبداعية معالجين فيها المظاهر والسلبيات؛ ومن هذه السلبيات الغرور، فهو صفة ذميمة، يختال صاحبها على اقرانه من افراد المجتمع، فينظر اليهم نظرة المستحقر المغرور، ويرى الناس اقل منه شئناً ورفعة، ففي مقال (أحلام في قصر) حكاية الفتى المغرور المتكبر؛ جاء فيها ((**كان فلان ابن الأمير فلان يتنبّل في نفسه بأنه مشتق ممن يضع القوانين لا ممن يخضع لها، فكان تياهاً صلفاً يشمخ على قومه بأنه ابن امير، ويختال على الناس بأن له جدّا من الامراء، ويرى من تجبّره أن ثيابه على أعطافه كحدود الملكة على الملكة لأن له أصلاً في الملوك))**(الرافعي ج١ ، ٢٠٢٢ : ٩١)، هذا الأمير المغرور كان ابوه بخيلاً فانتقل إلى جوار ربه، فورثه ابنه وكان قدره أن يبعثر ذلك المال وكأن الاقدار قد كتبت عليه ذلك، فيقول الراوي: ((**كانت الاقدار قد كتبت عليه هذه الكلمة: غير قابل للإحسان، فمحتها بعد موت أبيه، وكتبت في مكانها هذه الكلمة: جُمع للشيطان، أما الشيطان فكان له عمل خاص في خدمة هذا الشاب، كعمل خازن الثياب لسيده، غير أنه لا يلبسه ثياباً بل أفكاراً وآراء وأخيلة))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٩١)، وكأنّ هذا الشاب يريد من الشيطان أنْ يعينه في اللّذة ويغمره بالتجليات القدسية، وفي يوم من الأيام اعترض ابن الأمير شحاذ مريض هذا الشحاذ المسكين((**قد أسنّ وعجز يتحامل بعضه على بعض، فسأله أن يحسن اليه وذكر عوزه واختلاله، وجعل يبثه دموعه وألفاظه، وكان ابليس في تلك الساعة قد صرف خواطر الشاب إلى أحدى الغانيات الممتنعات عليه، وقد ابتاع لها حلية ثمينة... فهو يريد أن يهديها اليها كأنها قدر من قادر... وقطع عليه الشحاذ المسكين أفكاره المضيئة في الشخص المضيء، فكان إهانة لخياله السامي، ووجد في نفسه غضاضة من رؤية وجهه، واشمأز في عروقه دم الامارة))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٩٢)، فوسوس له الشيطان وألقى ما ألقاه عليه، فهو يرى في هذا الشحاذ صاحب الوجه القذر كأنما يسخر به ويتهكم فجال في خاطره حوار النفس، واذا بخيال الأمير يسرح ويحدث نفسه وهو ينظر إلى وجه الشحاذ، قائلاً : ((**انت امير يبحث الناس عن**

الأمير الذي فيه فلا يجدون الا الشيطان الذي فيه، وليس فيك من الامارة الا مثل ما يكون من التاريخ في الموضع الأثري الخرب، ولن تكون اميراً بشهادة عشرة آلاف دينار عند مومس، ولكن بشهادة هذا المال عشرة آلاف فقير، انت امير فهل تثبت الحياة أنك امير أو لهذا معنى في كلمة من اللغة؟ إن كانت الحياة فأين اعمالك... ألا قُل للناس أيها الأمير: إنّ لقبي هذا انما هو تعبير الزمن عما كان لأجدادي من الحق في قتل الناس وامتهانهم))(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٩٣)، وفي تلك الليلة نام ابن الأمير فكانت في منامه أحلام من دنيا ضميره وما فعله بالشحاذ **((فرأى فيما يرى النائم أن ملكاً من الملائكة يهتف به: ويلك! لقد طردت المسكين تخشى أن تنالك منه جراثيم تمرض بها، وما علمت أن في كل سائل فقير جراثيم أخرى تمرض بها النعمة، فإن اكرمته بقيت فيه، وإن اهنته نفضها عليك، لقد هلكت اليوم نعمتك أيها الأمير واسترد العارية صاحبها واكلت الحوادث مالك فأصبحت فقيراً محتاجاً تروم كسرة الخبز فلا تتهيأ لك الا بجهد وعمل ومشقة))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٩٣)، إن هذه الحكاية الأدبية التي تمثلت الواقع، مليئة بالحكم والعبر، وكيف رأينا الأمير المغرور الذي ملأت روحه في الغطرسة والجبروت، وأن هذا المُلك لا يدوم، بل العمل الصالح وحسن الرعية، وبين كل هذه الاحداث فقد مرّت على هذا الأمير الكثير من الكروب، حتى بات وحيداً صريع المرض والجنون، وهي عبرة من عبر الحياة ورسالة إلى كل متجبر، فيقول الراوي : **((ورأى في غشيته ما رأى من تمام هذا الكرب، فضُرب وحُبس وابتلى بالجنون وأرسل إلى المارستان، وساح في مصائب العالم، وطاف على نكبات الامراء والسوقة بما يعي وما لا يعي، ثم رأى أنه أفاق من الاغماء فإذا هو قد استيقظ من نومه على فراشه الوثير، ويااليت من يدري بعد هذا! أغدا ابن الأمير على المسجد وأقبل على الفقراء يُحسن اليهم، أم غدا على صاحبته التي امتنعت عليه فابتاع لها الحلية بعشرة آلاف دينار؟ ياليت من يدري؟))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٩٦)، فهل ياترى يُعتبر الأمير من كل هذه الاحداث ، وهي رسالة إلى كل انسان بأن نهايته الآفول ولابد أن تكرس تلك الحياة بالعمل الصالح ومساعدة المحتاج كي يضفر برضا الله والمجتمع.

آفة الغرور لم تبرح أن تفارق أصحابها، وهذه المرة عن الـ(باشا) الذي يرى في نفسه الغرور والتكبر، ويرى في بنته السلطانة أنها سلطانة زمانها، ولن ينالها الا من كان كفء لها، ففي مقال(بنت الباشا)، يتحدث لنا الرافعي عن حكاية أدبية متمثلة في الواقع المجتمعي، وهي عادات وسلبيات قد رافقت الكثير من افراد المجتمع،، فيقول الراوي: **((كانت هذه المرأة وضاحة الوجه، زهراء اللون كالقمر الطالع...وكانت باسمة ابداً ما يتلألأ الفجر...مالها جلست الآن تحت الليل مطرقة كاسفة ذابلة...تبصر بين الدموع طريقاً تُفضي منه نفسها الى الحبيب الذي لم يعد في الدنيا، إلى وحيدها الذي تراه ولا تلمسه، وتكلمه ولا يرد عليها، إلى طفلها الناعم الظريف الذي انتقل إلى القبر ولن يرجع...قلبها الحزين يقطع ويمزق كل لحظة، لأنه في كل لحظة يريد منها أن تضم الطفل إلى صدرها...ولكن أين الطفل؟ وأين حياة القلب**

الخارجة من القلب))(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٩٧)، هذه الفتاة اليافعة ترادفت النعم على أبيها، من كل حدب وصوب، وتقدم إلى خطبتها شاب يافع مهذب يملك من الخلق والسماحة ما يأهله لها، لكنه لايملك المال الذي يبحث عنه الباشا، وهنا يسخر الراوي من الباشا، ومن تلك العادات السيئة التي رافقت المجتمع، فيقول عن هذا الشاب أنه : ((**يملك من نفسه الشباب والهمة والعلم، ومن اسلافه العنصر الكريم والشرف الموروث، ومن أخلاقه وشمائله ما يكاثر به الرجال ويفاخر، بيد أنه لا يملك من عيشه الا الكفاف والقلة، وأملا بعيدا كالفجر وراء الليل لا بد من مصابرته إلى حين ينبثق النور، وتقدم صاحبنا إلى الباشا فجاءه كالنجم عارياً، أي في أزهى نورانيته وأضوائها، وكان قد علق الفتاة وعلقته، فظن عند نفسه أن الحب هو مال الحب، وأن الرجولة هي مال الانوثة، وان القلوب تتعامل بالمسرات لا بالأموال، ونسي أنه تقدم إلى رجل مالي جعلته حقارة الاجتماع رتبة، أو إلى رتبة مالية جعلتها حقارة الاجتماع رجلاً، وان كلمة(باشا) وامثالها انما تخلفت عن ذلك المذهب القديم: مذهب الالوهية الكاذبة التي انتحلها فرعون وامثاله، ليتعبدوا الناس منها بألفاظ قلوبهم المؤمنة، فإذا قيل (إله) كان جواب القلب: (عز وجل، سبحانه)، ولما ارتقى الناس عن عبادة الناس، تلطفت تلك الالوهية ونزلت إلى درجات إنسانية لتتعبد الناس بألفاظ عقولهم الساذجة؛ فإن قيل (باشا) كان الجواب العقل الصغير: (سعادتلو أفندم!))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ٩٩)،هذا الشاب الحالم لم يدرك حجم الخيبة التي تنتظره من مجتمع ينظر إلى الفقراء نظرة ازدراء، فنسي أنه سيتقدم للباشا، فأعماه الحب، ونسي ايضاً أن هذا المجتمع متلون يختلف تماماً عما كان يتصوره، فيقول الراوي: ((**نسي هذا الشاب أن ((أمم الأكل والشرب)) في هذا المشرق المسكين، لا تتم عظمتها الا بأن تضع لأصحاب المال الكثير ألقاباً هي في الواقع أوصاف اجتماعية للمعدة التي تأكل الأكثر والاطيب والألذ، وتملك أسباب القدرة على الالذ والاطيب والأكثر، وتقدم الافندي يتودد إلى الباشا ما استطاع ويتواضع وينكمش ... ولكن اين هو من الحقيقة؟ انه لم يكن عند الباشا إلا أحمق، إذ لم يعرف أن تقدمه إلى ذلك العظيم كان أول معانيه أن كلمة(افندي) تطاولت إلى كلمة (باشا) بالسب علناً، وقبضوا عن (الافندي) وعرضوا عنه أعراضاً كان معناه الطرد))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ١٠٠)، وهكذا انتهت رحلة هذا الشاب مع السلطانة بالطرد والنفور من قبل الباشا.

لتبدأ حكاية الـ(بك)، معها هذا الاسم اللامع ذو الشرف الكبير والذكر الشهير، هو ما يبحث عنه الباشا، فقد تقدم لخطبتها، هذا الاسم العظيم ((**ولو لم يكن تحت (بك) رجل، فإن تحتها على كل حال (بك)، وأنعم له الباشا، ووصل يده بيد ابنته، فألبسها وألبسته، وأعلمها ابوها قد فحص عن البك فإذا هو (بك) قوة مائتي فدان..أما الافندي فظهر من الفحص الهندسي الاجتماعي أنه (أفندي) قوة خمسة عشر جنيهاً في الشهر))**(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ١٠٠) فقد زوجها له وقد علم الافندي أن الباشا قد زوجها للقب البك قبل ان يزوجها له، وان الافندي لا يملك هذا اللقب، وقُدمت ((**مئاتا الفدان مهرها الطيني**

العظيم، بما تعبيره في اللغة الطينية: ثمن عشرين ثوراً ومثلها جاموساً ومثلها بغالاً وأحمرة، وفوقها مائة قنطار قطناً، ومائة إردب قمحاً ثم ذرة.. والمجموع الطيني لذلك ألف جنيه، وعزى الباشا أنه مستطيع أن يقول للناس: إنها خمسة آلاف اختزلتها الازمة قبحها الله، ثم زفت بنت الباشا زفافاً طينياً بهذا المعنى ايضاً، كان تعبيره: أنه أنفق عليه ثمن ألف قنطار بصلاً، ومائة غرارة من السماد الكيمياوي، كأنما فُرش بها الطريق.. وهيأت لبنت الباشا معيشة طينية بمعنى غير ذلك المعنى))(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ١٠٣)، فتغيرت حياة بنت الباشا فيما بعد فقد مات طفلها، والقت الاقدار أيامها ولياليها التراب والطين، ولج الحزن في قلبها وتمنت اللحاق بطفلها، وكان وراء قصرها مجموعة من البيوت يأوي اليها قوم بنسائهم واطفالهم، لتبدأ حكاية الرجل الزبال معها، فكان لديه ثلاثة أولاد كان يفخر بهم ويتباهى، بيد أن هذا الزبال هو رجل حقيقي كما يقول الراوي وليس من صنع مخيلته ، فكان يحب أولاده كثيراً، ومن جانب اخر أن بنت الباشا قد فقدت طفلها الوحيد، فشاءت الاقدار ان يجتمعا معاً، لتبدأ الحكاية وتنتهي به، فيقول : **((وفيهم رجل زبال له ثلاثة أولاد يراهم أعظم مفاخرة واجمل آثاره،...إذ يشعر بالفطرة الصادقة أنه هو وجودهم، وأن الطبيعة وهبت له منهم مسرات قلبه، ذلك القلب الذي انحصرت مسراته في النسل وحده، فصار الشعور بالنسل عنده هو الحب إلى نهاية الحب، وكذلك الزبال الأسد، ومن سخرية القدر أن زبالنا هذا لم يسكن الحواء الا في تلك الليلة التي جلست فيها بنت الباشا على ما وصفنا، وفي ضلوعها قلب يفتت من كبدها، وبينما تناجي نفسها وتعجب من سخرية الاقدار بالباشا والبك، وتستحمق أباها فيما أقدم عليه من نبذ كفئها لعجزه عن مهر باشا، وايثار هذا المهر الطيني، وتباهيه به أمام الناس، واندرائه بالطعن على من ليس له لقب من ألقاب الطين بينما هي كذلك إذا بالزبال كانس التراب والطين يهتف في جوف الليل ويتغنى:**

ياليل أهو راضي لك ما تنجلى ياليل

وابن الغنى ف هموم والخالي خالي البال

ولم تختر الاقدار إلا زبالا ترسل في لسانه سخريتها بذلك الباشا وبنت ذلك الباشا...

وكسر قلب بكسر قلب وحطم نفس بحطم نفس

ورب عز تراه أمسى كناسة هيئت لكنس...))(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ١٠٣)، وهكذا تنتهي هذه الحكاية بنهاية مأساوية، كانت حكاية معبرة عن الواقع الذي يضع تلك الفتاة المسكينة ضحية الجاه والسلطة، لتترك من كان لها كفء ، ويختار لها والدها شاباً يشبهه تماماً ذو مال وسلطة ، لتنتهي حياة هذه السلطانة بموت طفلها وتغدوا حياتها طينية مثل مهرها الذي اختاره لها، متناسياً أن الحب والحياة السعيدة ليست بالمال والسلطة، وإنما بالحب والإنسانية.

النتاج الادبي لا يمكن له أن يكون إلا في ظل المجتمع ، وان قيمة الادب تتجلى ((**فيما يحمله من مدلولات تروج بالوسط الاجتماعي، وإن أول ما ينبغي للناقد أن يبحث عنه في العمل الادبي هو المدلول الاجتماعي، فالأدب غني بالمضامين الاجتماعية**))(أنور عبد الحميد موسى،: ٤٧) ،وهذا ما نجده في الحكاية الواقعية عند المقاليين العرب، ففي مقال (عروس تزف إلى قبرها) تتجلى فيها حكاية واقعية، فعند زيارة القبور يحمل الانسان منها العبر الكثيرة، فيشاهد الذين سبقوه في هذا العالم البائس، وهو يودع اهله ومحبيه واحداً بعد اخر، فهي رسالة مفادها أن نهاية كل انسان هي الموت، فلا بد من الاعتبار، والاخذ بالنصيحة والتزود لهذا الوافد الذي يأتي من دون استأذان ، فعروس تزَف إلى قبرها هي زوج ولده سلمى، يتحدث الرافعي عن فتاة في مقتبل العمر كيف أن الموت باغتها خلسة، وهي لم تزل عروسة،((**كان عمرها طاقة ازهار تُسمى أياماً،... وخطبت العذراء لزوجها وعُقد له عليها في اليوم الثالث من شهر مارس في الساعة الخامس بعد الظهر، وماتت العذراء بعد ثلاث سنين، وأُنزلت إلى قبرها في اليوم الثالث من شهر مارس في الساعة الخامسة بعد الظهر!، وكانت السنواتُ الثلاثُ عمر قلب يقطعه المرض ينتظرون به العرس فجاء آخره موزوناً بأوله في ضبط ودقة؟**))(الرافعي ج٢، ٢٠٢٢: ١٥٠)، إن العبرة من هذه الحكاية أن الموت يأتينا من دون سابق انذار فلا بد للإنسان أن يتعظ من هذا الوافد، وان يتزود بخير الزاد عند المثول أمام الله، وعندما يبدأ يوم الحساب، وهذا ما ذكره الرافعي في هذه الحكاية إذ يقول: ((**عندما تحين الدقائق المعدودة التي لاترقمها الساعة ولكن يرقمها صدر المحتضر، عندما يكون ملك الملوك جميعاً كالتراب لا يشترى شيئاً البتة. ماذا يكون أيها المجرم بعدما تقترف الجناية، ويقوم عليك الدليل وترى حولك الجند والقضاة وتقف أمامك الشريعة والعدل؟... والآمن في الدنيا من لم تكن وراءه جريمة لا تـــزال تجري وراءه، والسعيد في الآخرة من لم تكن له جريمة تطارده وهو في السماوات**))(الرافعي ج٢ ، ٢٠٢٢: ١٥١) فالعمل الصالح وحده من يضمن للإنسان الحياة السعيدة في الاخرة، فهو كفيل بأن يضمن له الجنة.

وعندما فارقت روحها الحياة يصور لنا الرافعي جنازتها، التي زفت كعروس إلى قبرها ولم يبارك لها أحد، سوى لوحات إعلانية على الحائط من على قارعة الطريق لـ(رواية) كان اسمها (مبروك) وهو هنا يلوح على عروسته وعلى حياتها كأنها أمست رواية، وتكرر هذا الإعلان مرة أخرى من على مشارف المقبرة على آخر حائط عليه إعلان (مبروك) إذ يقول: ((**مشينا في جنازة العروس التي تزف إلى قبرها طاهرةً كالطفلة ولم يبارك لها أحد؟ فما جاوزنا إلا قليلاً حتى أبصرت على حائط في الطريق إعلاناً قديماً بالخط الكبير الذي يصيح للأعين؛ إعلاناً قديماً عن(رواية) هذا هو اسمها: (مبروك)، واخترقنا المدينة وانا أنظر وأتقصى، فلم أرَ هذا الإعلان مرة أخرى! واخترقنا المدينة كلها، فلما انقطع العمران وأشرفنا على المقبرة، إذا آخر حائط عليه الإعلان: "مبروك"**))(الرافعي ج٢، ٢٠٢٢: ١٥٤)

وما زلنا في عبرة الموت، ففي مقال(موت أمّ) وهي زوج الأستاذ حسنين مخلوف، يتحدث الرافعي عن حكاية واقعية، يقول:((**كانت المسكينة في الخامسة والعشرين من سنها، أما قلبها ففي الثمانين أو فوق ذلك؛ هي في سن الشباب وهو متهدّم في سن الموت**))(الرافعي ج١، ٢٠٢٢: ١٥٥)، وهو يحكي عن كفاحها ونضالها في هذه الحياة، فالمرأة في عين الرافعي هي ((**ليست من ملأت عينيها من الكتب فهي تنظر إلى الحياة نظرات تحل مشاكل وتخلق مشاكل، ولكنها تلك التي تنظر إلى الدنيا بعين متلألئة بنور الايمان تُقِرّ في كل شيء معناه السماوي، فتؤمن بأحزانها وأفراحها معاً، وتأخذ من يد خالقها رحمة معروفة أورحمة مجهولة، هذه عندي تسمى امرأة، ومعناها المعبد المقدسي، وتكون الزوجة، ومعناها القوة المستعدة، وتصير الأم، ومعناها التكملة الإلهية لصغارها وزوجها ونفسها**))(الرافعي ج٢ ، ٢٠٢٢: ١٥٥)، فعظمة المرأة تتجلى في ادارتها لهذه الحياة، وحسن معاملتها لزوجها واسرتها، وهذا متأتٍ من نور قلبها وايمانها بالله.

ثم ينبذ الحياة ويمتعض من العاشقين لها، والمغرّرين بها لأن هذه الدنيا فانية ولابد للإنسان أن يتعظ عند زيارته للقبور، فغدت الأرض بعد كثرة الموت مقبرة، ثم يرفدنا كعادته في بعض حكاياته بالأمثال، إذ يقول متهكماً: ((**يقولون إنّ ثلاثة أرباع الأرض يغمرها البحر، أما أنا فأرى في تلك الساعة أن ثلاثة أرباع الأرض لا يغمرها البحر الذي وصفوا، ولكن خضم آخر زخار متضرب هو ذلك البحر الترابي العظيم المسمى"مقبرة". يقولون إن الحياة هي .... هي ماذا ـ ويحكم ـ أيها المغرورون؛ أفلا ترون هذه الصلة الدائمة بين بطن الأم وبطن الأرض؟**))(الرافعي ج٢، ٢٠٢٢: ١٥٦)، وهي كناية عن كثرة الموت، ففي هذه الحكاية يرفد لنا الرافعي الكثير من الحكم والمواعظ، وهو يزور المقبرة ويودع الاصحاب والاحباب، وأن لابد للإنسان من عمل صالح يواجه به ربه، فإن الذين سبقونا لو أذن لهم الحديث كما يقول الرافعي لقالوا: ((**أيها الاحياء، إن هذا الحاضر الذي يمر فيكون ماضيكم في الدنيا، وهو بعينه الذي يكون مستقبلكم في الآخرة، لا تزيدون فيه ولا تنقصون، وإن الدنيا تبدأ عندكم من الأعلى إلى الأدنى: من العظماء إلى الفقراء؛ ولكنّها تنقلب في الأخرة فتبدأ من الفقراء إلى العظماء، وأنتم ترسمونها بخطوط المطامع والحظوظ، ويرسمها الله بخطوط الحرمان والمجاهدة، إنّ التمام على الأرض من تّم بمتاعها ولذتها، ولكن التمام في السماء من تم بنفسه وحدها**))(الرافعي ج٢، ٢٠٢٢: ١٥٧).

في حكاية واقعية بين الرافعي وزكي مبارك، وهي حكاية مثل كانت بعنوان (أبو حنيفة ولكن بغير فقه)، وهي حكاية لمن يدعي لنفسه أنه عالم بكل شيء ولكنه مجرد صدى لأصواتٍ، فالاشتغال بالعلم من دون حصانة عبادية وقلبية يجعل من العالم عرضة للآفات، ومن اشدها آفة الغرور التي إنْ أصابت صاحبها لجت به في الأوهام والتناقضات ، لتنتهي إلى ضمور العلم عنده وتلاشيه، إذ يقول: ((**عندنا اليوم كلمات ضخمة تدور في الصحف بين الادباء كما تدور أسماء المستعمرات بين السياسيين المتنازعين عليها،**

يتعلق بها الطمع وتنبعث لها الفتنة وتكون فيها الخصومة والعداوة، ومنها قولهم: أدب الشيوخ وأدب الشباب؛ ودكتاتورية الادب وديمقراطية الأدب، ...والقديم والجديد...وراء ذلك أن منهم أبا حنيفة ولكن بغير فقه، والشافعي ولكن بغير اجتهاد، ومالك ولكن بغير رواية، وابن حنبل ولكن بغير حديث، وأسماء بينهما وبين العمل أنها كذب عليه وأنه رد عليها))(الرافعي ج٣، ٢٠٢٢: ٢٠٨)، فهنا يسخر من الذين يدعون العلم والمعرفة والدراية، لكنهم لا يفقهون شيئاً، ويسخر من الشعراء والكتّاب الذين يؤلفون وينظمون الشعر بالنسخ والسرقة إذ يقول: **((هذا فلان شاعر قد أحاط بالشعر عربيه وغربيه وهو ينظمه ويتفنن في أغراضه ويولد ويسرق وينسخ ويمسخ، وهو عند نفسه الشاعر الذي فقدته الأمة من تاريخها ووقع في تاريخ العربية وحدها ابتلاء ومحنة...وتقرأ شعره تتوهم من قراءته تقطيع ثيابك، إذ تجاذب نفسك لتفر منه فراراً، وهذا فلان الكاتب الذي والذي.. والذي يرفع إلى أقصى السماوات على جناحي ذبابة، وهذا فرعون الأدب الذي يقول أنا ربكم الأعلى!))**(الرافعي ج٣، ٢٠٢٢: ٢١٠) ومرد ذلك كما يقول الرافعي خلو العصر من نقاد حقيقيين يوازنون أو يحاكمون الأدب، أو إمام حقيقي كما يقول يلقي عليه الاجماع في حكمته وعقله ورأيه ولسانه، ومناقبه وشمائله، **((ومكانة هذا الامام تحد الأمكنة، ومقداره يزن المقادير فيكون هو المنطق الإنساني في أكثر الخلاف الإنساني، تقوم به الحجة، فتلزم وان انكرها المنكر، وتمضي وان عاند فيها المعاند ويؤخذ بها وان أصر المصر على غيرها،... والامام في آداب عصره فكراً ورأياً، ويزين ماضيها بأنه في نهايته، ومستقبلها بأنه في بدايته))**(الرافعي ج٣، ٢٠٢٢: ٢١١)، هذه المناقب يفتقدها العصر كما يبين الرافعي، فنحن بنا حاجة إلى ادباء عظام ونقاد افذاذ يضعون النقاط على الحروف، من دون وساطة او محاباة في الادب، فيقول في نهاية هذه الحكاية: **((عصرنا هذا مضطرب مختل إذ لا إمام فيه يجتمع الناس عليه، وإذ كل من يزعم نفسه إماماً هو من بعض جهاته كأنه أبو حنيفة ولكن بغير فقه!، ولعمري ما نشأ قولهم "الجديد والقديم" إلا لأن ههنا موضعاً خالياً يظهر خلاؤه مكان الفصل بين الناحيتين ويجعل جهة تنماز من جهة، فمنذ مات الإمام الكبير الشيخ محمد عبده رحمه الله جرت أحداث، ونتأت رءوس، وزاغت طبائع كأنه لم يمت رجل، بل رفع قرآن))**(الرافعي ج٣، ٢٠٢٢: ٢١٢)، فهنا يندب العصر برحيل الامام محمد عبده، الذي كان كيساً وعالماً يفتقده العلم الآن وترك مكانه لآخرين لا يفقهون شيئاً إذ أشار إلى ذلك في نهاية حديثه.

يروي لنا الزيات حكاية واقعية عن الاحتلال البريطاني الذي استعمر مصر، وقد كابدت ما كابدت من جراء هذا الاحتلال، ففي مقال(نهاية مأساوية)(الزيات، مج ٤، ١٩٦٦: ٤٦)، يروي لنا تلك الحكاية عبر الاحداث التي وقعت هناك، ولاسيما الخلاف الذي نشب بين القادة المصريين انفسهم ، فهذا الخلاف ولّد الفرقة بين المصريين مما فسح المجال أمام المحتل لينال مراده من تلك التفرقة، وحصد ثمار ذلك المحتل بأن بقي في مصر سبعين سنة، في البدء زرع الفتنة عقب (الاتفاقية)و(المعاهدة)، البريطانية التي تربط

مصر بإنجلترا في الشمال والجنوب، فبعد خمس عشرة سنة من المهانة أدركت مصر ذلك، فألغت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، واتفاقية سنة ١٨٩٩، ادركت (مصر الوطنية) هدف إنجلترا وظلت تسدد اليه سهامها التي لا تطيش، كان (الرسميون) يحاولون أن يستروا الضياء عن بصائر الوطنيين ليوهموهم أن هذه السهام صواريخ لهو وبهجة، وكان الوطنيون يجهدون ان يكشفوا الغطاء عن بصائر الرسميين ليفهموهم أن هذه الصواريخ قذائف دمار وهلكة، وظل الامر بين الجبهتين (الوطنية) و(الرسمية) سبعين سنة، تفككت فيه العرى، وتمزقت القوى، وتفرقت السبل، وتباينت الرسائل، واتخذ المحتل هذا الخلاف الطويل حقلاً مصرياً بذر فيه التفرقة وجنى منه السيادة.

ولا بد من اخراج هذا المحتل من البلاد ولن يتم ذلك الا عبر الاتحاد والتكاتف بين الشعب والقوى المصرية فيما بينها، وبالفعل بعد هذا الصراع الطويل اتحدت القوتان، واستطاعتا أن تمزق العدو بعد أن قدمت مصر معركة دامية مأساوية، استطاع الزيات من خلال هذه الحكاية الواقعية أن يضع النقاط على الحروف عبر تقديمة صورة تهكمية ساخرة وبرمزية عالية الهدف منها كشف زيغ المستعمر، الذي زرع في صفوف المصريين الفتنة ولاسيما القادة المصريين المتمثلة بالرسميين الذين انطلت عليهم اللعبة فسخر منهم جميعا، إذ يقول: ((**كان الاحتلال الإنجليزي لوادي النيل مأساة بشرية من نوع عجيب في الطول والفصول والإخراج والتمثيل! كانت من نوع القراقوز المبكي، أخرجها الانجليز المحتلون من وراء الكواليس، ومثلها المصريون الرسميون على المسرح!، كانت الخيوط بيد العميد أو السفير يقلبها كيف يشاء، والدمى الخشبية المصرية على مرأى من الشهود تتحرك ولا تعي، وتتكلم ولا تفهم! لقد كان مأساة مروعة دامية! شهد بدايتها توفيق فصفق لمخرجيها بيده، وشهد نهايتها فاروق فركلهم بقدميه! ولم يبق بعد إضراب الممثلين وإنكار المتفرجين إلا أن نطرد الفرقة ونقوض الملعب!**))(الزيات، مج ٢: ١٩٦٦: ٤٧)

تتحقق المفارقة ((**عندما يحصل هناك تناقض أو تعارض بين ما نتوقعه وبين ما يحدث**))(نجاة علي، ٢٠٠٨ : ٧٦)، ففي مقال (فدائيون وانانيون) يروي لنا الزيات حكاية الابطال الفدائيين الذين بذلوا مهجهم من آجل الوطن، وبين والمتخاذلين الخائنين الذين عملوا مع العدو ضد أبناء جلدتهم، وهي رسالة معبرة بالدعوة إلى الوحدة وعدم التفرقة، لأن في الفرقة الهلاك والهوان، إذ يقول : ((**ها نحن أولاء طينتنا من ثرى الوادي، وغذاؤنا من خير النيل وهواؤنا من جو مصر، ولكن فينا من يؤلم ولا يلذ كالعوسج، ومن يرتفع ولا يستحق كالعليق، أما المصطفون الاخيار فهم كالفواكه والرياحين قلة قليلة، منا العيون التي تتجسس للعدو، والايدي التي تعمل مع العدو، والالسن التي تدعو إلى العدو، ومنا الاوغاد الذين يقضون ايامهم اللاهية عكفا على الفحش ينفقون أموالهم التي استقطروها من الفلاح ودمه، في الخمر والقمر والنساء، وابناؤنا الشباب يقاتلون العدو وجها لوجه وهم جياع! ومنا الانذال الذين كسبوا المال**

وخسروا الشرف وشروا الجاه وباعوا الضمير، وكأن الفدائيين ليسوا من شباب الأمة!...هؤلاء المجاهدون الابطال الذين زعزعوا باطل إنجلترا وأيدوا حق مصر، لا يرجون من قومهم غير السلاح! فهل يستجيب أغنياؤنا الطافحون لهذا الرجاء! إنك لا تحيي الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء؟))(الزيات مج ٢، ١٩٦٦: ٥٧) في هذه الحكاية تهكم شديد من قبل الزيات على ما حدث في مصر، ولا سيما خطابة اللاذع الموجه إلى الفئة المتخاذلة، ففي الوقت الذي كان يجب عليهم الاتحاد والتعاون معا لطرد المحتل، اكتفى هؤلاء المتخاذلين الأغنياء بالتفرج والمشاهدة وباتوا صماً عمياً لا يفقهون شيئاً مما يحدث.

الفقراء احباب الله، والفقر امتحان من الله للناس وعبرة واختبار، وقد جاء في محكم كتابه الكريم: **{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين}**(البقرة، آية ٥٥)، فيثاب المؤمن على الابتلاء وصبره على المحن والشدائد ويبشره الله في النهاية بالفوز العظيم، في مقال(عيد الفقير)(الزيات مج٢، ١٩٦٦: ٨)، في البدء يتساءل الزيات: هل للفقير عيد؟ فيجيب : نعم للفقير عيد إذا أردنا به الشعائر الدينية فهو يصلي ويزور المقبرة ويعيد على أله وصحبه، فهذا (عيد الفقير)... ثم يقول ساخراً: أما إذا أردنا أن بالعيد التقلب في وثير الفراش من غير صلاة والتفنن في ذبح الكباش من غير تضحية، والتأنق في الزينة والثياب، والتفنن في الطعام والشراب، والتبسط في اللذة واللهو، فذلك عيد الباشا، لا عيد المسكين والفقير، في هذا الاختلاف الشاسع بين الفقير والغني يروي لنا الزيات حكاية الرجل الفقير، إذ فيقول: ((**حدثني رجل من ذوي هذه الحال أنه كان يشتغل مياومة في مصلحة من مصالح الحكومة، فلما قل عليه العمل استغنوا عنه ولكنه لسوء حظه لم يستطع أن يستغني عن الأكل، ولا أن يقنع أولاده بالصوم، فراح يطلب العمل في كل مكان، والمعونة من كل انسان فلم يجد ودخل عليه عيد الفطر من هذا العام وليس في يديه ما يشتري به الكسي لبنيه والسمك لزوجته وكان قبل أسبوع قد وعد الكبار بالبدل والصغار بالهدايا فسحبت اخيلة الأطفال في جو من الاحلام عجيب ألألوان عبقري الصور...فغم على الرجل الحال واعتلج في صدره الهم وأصبح حيران لايدري ما يقول وما لايفعل، تمنى الخروج من هذا المأزق بالمرض أوالموت؛ ولكن المرض أو الموت إذا أصبح أمنية الفقير امتنع كالخير وعز كالسعادة، فاحتال على العلة بالجوع فصام النهار والليل حتى هجعت عيناه وانسرقت قواه وبانت عليه نهكة المرض**))(الزيات مج٢، ١٩٦٦: ١٠)، فبعد أن اصبح مفلساً لم يستطع أن يجلب لأسرته ما وعدهم به في العيد، حتى جاءته فكرة بأن يتحايل على أهله بالمرض كي يخرج من هذا المأزق، فدخل العيد على هذه الاسرة البائسة فوجدها عاكفة على سرير مريضها الموجع، لهيفة القلب لا أمل لها إلا أن يعافى عميدها ويحيا، ثم يختم الزيات الحكاية بهذه العبرة إذ يقول: **((ولولا هذه الحيلة التي أنقذت هذا التعس بالمرض من غير موت، لأشقى به الخجل والهم على الموت من غير مرض!، تباركت يا الله لقد جعلت في عيد الفطر زكاة وفي عيد النحر تضحية ، فهل فهم ذوو القلوب الغلف والبصائر العمي من**

شرعك العادل أن الفقير يزكي بقوته حتى يعجز، والمسكين يضحي بصحته حتى يموت!))(الزيات مج ٢، ١٩٦٦: ١٠)، نعم هكذا هي أحوال الفقراء، فهم يكتمون الحاجة، ويؤثرون على انفسهم، حتى لو تطلب الأمر التضحية بأرواحهم كما فعل صاحب الحكاية.

الغضب له آثاره السيئة على نفس الغاضب في مظهره ولسانه بأن ينطق كل قبيح وتمتد تلك الآثار على المجتمع أيضا وتؤثر سلباً عليه، في مقال(العصبية داؤنا الموروث) وهي إشارة منه إلى هذا الداء الذي يرافق العربي دائماً، فيروي الزيات هذه الحكاية الواقعية، إذ يقول: ((**كنا ستة في أحد مجالس القطار السريع الصاعد إلى القاهرة وكانت غريبة الغرائب أن في هذا المجلس الطائر القلق ثلاثة ينتسبون إلى ثلاثة أحزاب سياسية، واثنان كل منهما إلى فرقة دينية؛ وكنت أنا وحدي المستقل فيما بيني وبين الله والناس، وكان مما ليس بد منه أن يترامى بهم الحديث إلى ذكر ما يشغل الخواطر من شؤون الدين والسياسة والحرب؛ فكان لكل منهم هوى لا يتابعه هوى، ورأي لا يشايعه رأي، حتى انقلب الحديث اللطيف جدلاً صخباً لا حيلة فيه إلا للإشارة العنيفة والحنجرة الصلبة))**(الزيات مج٢، ١٩٦٦: ٢٦٦)، وكأنه يلمح إلى النزاع الذي يحصل دائماً بين الدين والسياسة ، وهو صراع من أجل السلطة، فيلجأ إلى التهكم الذي ((**تستخدم فيه تعبيرات هازئة ملتبسة كي تتضمن إدانة أو تحقيراً أو تقليلاً**))(شاكر عبد الحميد، ٢٠٠٣: ٤٤)، وهذا التهكم أما من الشخوص أو من موقف ما، ولهذا أخذ يتهكم من هذا النزاع الحاصل فيقول: ((**تركت هذه الافواه يقذف بعضها في وجه بعض، ثم أخذت أفكر في هذه الصدعات التي مزقت الكلمة وفرقت الدين، وجعلت بعضنا يبني وبعضنا يهدم، وأحدنا يسوق والآخر يعوق، فلم اجد لها مصدراً تشتق منه إلا العصبية!، تصورت في هذا المجتمع الصغير، صورة ذلك المجتمع الكبير، فعجبت كيف ينسى في هذا الجمع الشتيت أن يتفاهم لسان ولسان، ويتآلف قلب وقلب، وتتعاون يد ويد، حتى يجوز أن تنتج من اتحاده قوة، وأن تنشأ من آحاده أمة!))**(الزيات مج٢ ، ١٩٦٦: ٢٦٧)، هذه العصبية كما يقول الزيات هي نابعة من حب السلطة والرياسة، وهي داؤنا الموروث، وهو يعرج بعد ذلك إلى حادثة (السقيفة) والانقسام الذي حصل بين المهاجرين والانصار، ثم انقسم العرب إلى هاشمية وأموية، ثم إلى قيسية ويمنية، ثم إلى علوية وعباسية، ثم إلى عربية وشعوبية، واغراها في الدين فانقسم المسلمون بعد ذلك إلى اثنتين وسبعين فرقة، تتقاطع وتتعادى بالباطل، فحب الرياسة وشهوة الحكم والسلطان هما شر ادواء العصبية، ثم يندب الزيات ويتذمر من هذا الداء الذي مزق الأمة، بأن ماذا لو اجتمعت هذه الأمة على خير، وتركت الخلافات جانباً، فيقول : ((**فليت شعري ماذا يمنعهم أن يضموا الشتات ويوحدوا الكلمة ويحددوا الغاية ما داموا إخوة في الوكن أو في الله!، لكن العصبية هي داؤنا الموروث لا يحسمه إلا طبابه الذي عالجه به الله ورسوله: محو الفروق بالحرية والشورى، وشفاء الصدور بالأخوة والمساواة، ورفع النفوس بالإيثار والتضحية!، ويومئذ يحيا فينا الضمير الاجتماعي فنعما**

مرؤوسين... ونخلص للأمة كما نخلص للأسرة... ونخرج من حدود العصبية إلى آفاق الوطنية)) (الزيات مج٢، ١٩٦٦: ٢٦٩)، وهي امنيات لن تحصل أبداً مازال هناك المنصب والرياسة تبقى هذه الصراعات قائمة من أجل السلطة والحكم، وهذا ما يحصل في الدول العربية الآن، فالحروب الاهلية والنزاعات قائمة إلى يومنا هذا، فهذه الحكاية جسدت واقعنا خير تجسيد وليتنا نتعظ ونتكاتف فيما بيننا لنكون خير أمة أخرجت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

الأديب البارع جزء من المجتمع فهو ((**ليس بمجرة منقطعة عن غيرها أو قائمة بذاتها؛ بل موصول بالآخرين متأثر بهم))**(درثفن، ١٩٨٩: ٨٥)، فالأدب محاكاة للحياة وواقعها، يرفدنا الزيات بالمواعظ والحكم، وهذه المرة يتحدث عن حكاية وطن فيها الكثير من المظاهر السلبية المتفشية في المجتمع يبدأها بعنوان (كلكم حواريون فمن يهوذا؟) وهو يتذمر من الواقع الذي نعيشه، بسبب المجتمع نفسه فالكل يندب الواقع الذي يعيش فيه، فالسياسي يتذمر، والاديب يندب حظه، والعَالِمُ يشكي والتاجر يبكي، وأنت تسير في الطرقات ترى وتسمع أي انسان يتذمر على حال المجتمع ويتضجر من السلطة، ونظام العيش، ومن الفساد فمن المسؤول عن كل هذا؟ فالزيات يلتقط تلك السلبيات في المجتمع، إذ يقول: ((**لا تسمع من أي انسان في أي مكان إلا تذمراً على حال المجتمع، وتضجراً حتى على نظام العيش، وتضوراً من فساد الحكم، وتحسراً على أخلاق الناس!، فما من سياسي تلقاه إلا رأيته لهيف الجوانح ذاهب القلب...أضاعوا استقلال البلاد ووأدوا دستور الأمة، ونشروا بخطبهم على الشعب سوء النبأ...وما من موظف تراه الا حدثك والهم يلج في صدره... وما من أديب تخلوا اليه إلا نثر عليك دموع الخنساء ونظم في مسمعيك تشاؤم أبي العلاء...وما من رجل من رجال الدين تجلس اليه إلا قال لك ودموع الحسنين تنهل على ردنه العريض انهلال المطر، لم يبق للدين في هذه الدنيا سلطان...وما من تاجر تعامله، إلا ابتدرك بالزراية على الذين نفقوا في الغش...يقول ذلك كل تاجر حتى أولئك الذين قضى عليهم موت الضمير...إذا كنتم ياقوم جميعاً حواريين فمن يهوذا الذي خان الوطن بدوانقه الثلاثين؟ كلكم يلوم فمن الملوم؟ وكلكم يتهم فمن المجرم؟ وعظ مالك بن دينار عظة تفاطرت عليها دموع أصحابه، ثم افتقد مصحفه فلم يجده! فنظر اليهم وكلهم من أثر كلامه لا يملك دمعه فقال: ويحكم! كلكم يبكي، فمن سرق المصحف؟))**(الزيات مج١، ١٩٦٢: ٢٤٦)، وهنا لا بد أن نشير إلى أننا بنا حاجة إلى التكاتف والوحدة، والى التعايش السلمي فيما بيننا، فالسياسي مسؤول عن إدارة الدولة وهو راع ومسؤول عن رعيته، والموظف أيضاً وكذا التاجر والعالم والاديب وغيرهم، فالكل مسؤول وله دور في قيادة المجتمع، أما التذمر والتضجر لن يكون حلاً لقيادة هذا المجتمع بل ينتهي بخرابه وانحلاله.

تستهويك الكتابة عنها، وأنت تلتقط الحروف لوصفها، أو ذكر فضائلها، مهما بالغنا لن نستطيع ان نُعطي حقها، هي (الأم)، التي أوصى الله بها الانسان في محكم كتابه :{**وَوَصَّيْنَا الإنْسان بوالديه حملته**

أُمّهُ وهناً على وهنٍ وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير}(لقمان، آية ١٤)، في مقال مميز عن (إمه) يروي لنا المازني حكاية واقعية عن الأم ودورها في الحياة، ويوجز مسيرتها وفضائلها، بأنها لاتشبه النساء اللائي تجايلهن، فقد لبست ثوب الرجولة وكفاحها، وهي تناضل من أجل صغارها، فبعد أن تركهم أبوهم، استحوذ اخوه الأكبر على ماله فأكله كله، فيقول: ((**لا اعرف الأمهات كيف يكن، ولكني أعرف أمي كيف كانت، وأجمل تعريف بها وأوجز الوصف أقول: أنها كانت رجلاً وأحسب أن النساء لا يرضيهن ثناء كهذا يسلبهن أنوثتهن...لكن أمي لم يكن لها بال تجعله إلى شيء من هذا؛ فقد اضطرت أن تمحق انوثتها في سن يبدأ فيها النساء يعرفن معنى الانوثة الكاملة فقد مات ابي وهي في الثلاثين من عمرها... وتركنا أبي ذو مال فأكله اخي الأكبر...**))(المازني،٢٠١٢: ٩) كان ابوه مزواجاً وكان حبه للتركيات وافتتانه بهن عجيبين، فكلما يذهب إلى الآستانة يعود بزوجة من هناك يعايشها ثم يملها ويشتهي غيرها وهكذا، ولكن بالرغم من كل هذا كانت أمه تثني على والده ولا تني تذكره بالخير، ولم تنقطع عن زيارة قبره في اثنتين وثلاثين سنة عاشتها بعده، تجسد هذه الحكاية دور الام العظيم تجاه اسرتها، واحاطتها لأطفالها ورعايتها لهم، فبرغم الصعاب التي واجهتها وموت بعلها المسؤول الأول عنهم، وبالرغم من تركها وحيدة ترعى صغارها، لكنها كانت مجاهدة ومكابدة، فقد أوصلت المازني إلى ماهو عليه من رعاية وتشجيع، فيقول في حقها: ((**كانت أمي . على صغر سنها . زعيمة الاسرة وكان أهلي يلجأون اليها...وكانت قوية الشكيمة فلا رأي إلا رأيها في الاسرة كلها، وإن كانت صغرى اخواتها...تلك هي أمي أو تلك هي بعض خطوط الصورة وإني لجليد في العادة، ولكن موتها هدني، فقد كانت لي أماً وأباً، وأخاً وصديقاً**))(المازني، ٢٠١٢: ١٥)، فهي حكاية واقعية فيها الكثير من الدروس والعبر عن دور الأم من خلال مواجهتها لمصاعب الحياة وحيدة، فقد كابدت وجاهدت من اجل اسرتها، ولم يثنها موت زوجها، ولن تنجرف مع التيار برغم انها ترملت صغيرة، بل لبست ثوب الرجولة حتى وقفت بوجه الحياة واستطاعت أن تصنع لنا المازني الاديب، وهناك الكثير من اللائي يشبهن أم المازني تركنّ بصمة في الحياة وصورة جميلة عن النضال والكفاح.

تعد المفارقة ((**نوعاً من التضليل الجمالي المعتمد الذي يخلخل السكون، ويحدث تعرجا طفيفاً أو كبيراً في المسافة بين المعنى الذي صنع المفارقة ومعناها الذي عند راصدها الضحية**))(حسن عبد راضي، ٢٠١٣: ١٨)، من مفارقات الحياة تشبه الرجال بالنساء والعكس، فمن العادات والمظاهر السلبية في المجتمع أن يتشبه الرجال والنساء بعضهم البعض، فقد من الله على الانسان بطباع مختلفة، فالرجال لهم صفات وطباع تختلف عن الانثى، والانثى جعلها الله تختلف عن الرجال بحكم تكوينها البيولوجي والعاطفي والنفسي، هذا التشبه له صور مختلفة مرة يكون بالأفعال كأن يتشبه بهن من خلال الملابس التي لا تختلف عن ملابس النساء أو لبسهم الاطواق والقلائد والقيراط الخاص بالنساء، ومرة يكون بالأقوال، مثل

الترقيق في الكلام والتكلف والتصنع في الأصوات، يرصد لنا المازني في هذا المقال حكاية (الذكورة والأنوثة) أي تشبه الرجال بالنساء، التي أصبحت الآن ظاهرة متفشية في المجتمع، وصفة ذميمة، يبدأ المازني هذه الحكاية من الواقع معرجاً عن حال المجتمع آنذاك قبل خمسين سنة، وبين المجتمع الآن، وكيف كانت أزياءهم أنيقة وثيابهم نظيفة، وحتى الأحذية كانت أكثر ما تكون سوداء، ولم تكن الاقمصة آنذاك متعددة الألوان بل الغالب فيها أن تكون بيضاء لامعة، أمّا النساء في ذلك الزمان، فيقول عنهن : **((كان زيهنّ إذا برزن إلى الشوارع يصد العين عن النظر، ولم يكن الواحد يدري: أهي آدمية تلك الملفوفة في ملاءتها أم حشوها زف يبعثره الريح؟ فالآن صارت العين تتعب من النظر إلى مجالي الذوق حتى في الطرقات، ودع عنك المجتمعات والسهرات، نعم لا فرق الآن مثلاً بين أزياء المحصنات وغيرهن، ولكن لابأس سيتميزن بغير الأزياء، وصحيح أن الرجال والنساء تقاربوا . حسن أيضاً ليس في الإمكان أبدع مما كان!))**(المازني ، قبض الريح، ٢٠١٢: ١٣٣) فقد ذكر المازني أن الله أنعم على الرجال باللحى وعلى النساء بالشعر الطويل، ثم يتهكم من ذلك ويقول: ((**ومع ذلك لماذا؟ أمن أجل أن النساء يقصصن شعورهن ويتشبهن بالرجال في بعض أرديتهن، وأن الرجال يحلقن . معذرة! فسيختلط الأمر بكرهي وكرهكم . يحلقون شواربهم ولحاهم ويتخذون من الثياب ما لايخلص الهواء بينه وبين الجسم**))(المازني ، قبض الريح، ٢٠١٢: ١٣٤) ويستذكر في ما مضى من حال الرجال وكيف يجتذبون النساء والاستيلاء على قلوبهن، أما الان بات الامر مختلفاً فالرجال يتشبهون بالنساء، والنساء مترجلات.

ثم يتساءل متهكماً وباستفهام إنكاري، فيقول: ((**هل فقد الرجال ما كان لهم فيما مضى من القدرة على اجتذاب المرأة والاستيلاء على هواها بما كان لهم من صفات طبيعية؟ أم أصبحت الرجولة التي كانت تجدي عليهم قديماً في معركة الجنسية لا تنيلهم شيئاً الآن؟ أم ضعف إحساس المرأة بهذه الصفات وانحط تقديرها للمزايا الطبيعية؟ ... شهدنا زمناً كانت فيه المرأة إذا بدا منها خنصرها من تحت الملاءة... ولمحته عين الرجل شهق وفهق وانتابته كالحمى، فالآن تبدو له نصف كاسية أو نصف عارية... ومع ذلك لا يكاد الرجل يزيد على الاعراب عن الاعجاب الفاتر، فهل تبرز المرأة الآن على هذه الصورة المجلوة لأنها تحس أن صفات الرجولة في الرجل قد ضعفت؟**))(المازني، قبض الريح، ٢٠١٢: ١٣٤)، يعود المازني بذاكرته إلى الحرب العظمى التي التهمت فيها الرجال وسببت لهم خسائر فادحة لا تعوضها الأجيال، وكيف استطاعت النساء آنذاك أن تحل محل الرجال وأن يملأن فراغهن في الاعمال المختلفة، وكيف انمى ذلك فيهن صفات الذكورة وكيف تحفظن بالمنزلة التي رقين اليها ولم ينزلن عنها، إن الله ميز الانسان وجعل لكل جنس صفات مختلفة عن الاخر، وهذا تكريم لبني آدم ، ولكن المفارقة التي حصلت أنه ضرب تلك القيم والمبادئ وراح ينساق وراء الشيطان بأن يتشبه كلا الجنسين ببعضهم البعض، وهذه من المظاهر والسلبيات التي هتكت النسيج المجتمعي ولابد من التصدي لها ومحاربتها.

الخرافة، هي ((**الاعتقاد أن بعض الأفعال أو بعض الألفاظ أو بعض الأعداد أو بعض المدركات الحسية تجلب السعادة أو الشقاء...وتطلق على كل مبدأ أو مذهب مبالغ فيه بغير نظر ولا قياس، وإذا ابتعد الشعور الديني عن غايته وانقلب إلى مجرد قيام المرء بأفعال وحركات ظاهرة يعتقد أن لها تأثيراً في سعادته سمي بالخرافة الدينية،...وأن الاعتقاد الديني إذا لم يبن على العقل كان حديث خرافة، والعقل الخرافي مضاد للعقل العلمي**))(جميل صلبيا، ١٩٨٢: ٥٢٧)، في حكاية تتمثل الواقع يسوق لنا المازني تجربته في مقال (سحر مجرب) فهو بحسب ما يقول: لا أدري كيف أسوق للقارئ حكاية هذه التجربة بحيث لا يتوهم أني أهزل؛ كان المازني يمني النفس بأن يخوض تجربة الحب؛ لكن من دون جدوى، حتى عثر على مجموعة من الأوراق كان يعتقد ،أنّ جدّه تركها لأبيه، مع أنه لم يشاهد جده قط ولم يره يكتب ولكن مجرد تخيلات، لم تكن علاقته بالنساء طيبة فلم يكن الحظ يلقيه الا على كل فتاة عسيرة، وليس هناك من حيلة، عندها تذكر الورقات التي تركها جده والتي كان يعتقد أنها مما خلف جده فيقول: ((**وجدت فيها فائدتين طرت بهما فرحاً، فأما الأولى فتقول: (من أراد الارتقاء إلى الدرجات العلا فليتطهر ظاهراً وباطناً، وليصم سبعة أيام وليواظب دبر كل صلاة على هذه الأسماء . يا هادي ياخبير يامتين ياعلام الغيوب . ألف مرة فإنه يكشف له عن ملكوت السماوات والأرض بإذن الله تعالى وأما صفتها للإخفاء فهي أن تقرأ الآية الشريفة سبعمائة وخمسين مرة، ثم تقول(يس، والقران الحكيم) إلى قوله (فهم لايبصرون) ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة فلو اجتمع اهل السماوات والأرض على أن يبصروك لم يقدروا ويعمي الله ابصارهم عنك فلا يروك**))(المازني، صندوق الدنيا، ٢٠١٢: ٦٧)، وهل يجدي هذا الكلام بأن تكون بهذا القدر من الغرائبية، بأن تختفي عن الأنظار، وتنال الرضا من الفتيات، بمجرد قراءتك لهذه الوريقات، إذ بات المازني منشغلا بها وهو يقرأ ويدون ويقنع نفسه بمصداقيتها، إلا أننا سنكتشف فيما بعد بأن المازني يقع في موضع السخرية إزاء ذلك.

أمّا الفائدة الثانية من الورقات، كما يقول المازني: ومن أراد إقبال الناس عليه بالمحبة والهيبة والتعظيم له فعليه بقراءة هذه الآية عقب الصلاة أربعمائة وخمسين مرة، ثم يتلو بعدها الدعاء الجليل سبعة آلاف مرة، فإنه يحصل من الخير ما لا تدركه الافهام وهي يالله (ثلاثاً) يا رحمن (ثلاثا) يا رحيم (ثلاثا)، ألق عليّ من زينتك، اللهم سخر لي جميع خلقك، يا مقلب القلوب (ثلاثا)، يا علام الغيوب(ثلاثا)، فإذا وفيت العدد المطلوب تقرأ بعض الآيات بالعدد أيضاً،(المازني، صندوق الدنيا، ٢٠١٢: ٦٩).

وقد صدّق المازني بكل هذا الكلام وقرأ وطبق ما مكتوب في الورقات ونزل إلى السوق وبدا كأنه يمشي فوق الناس وكان يمني النفس بأن يلتقي بفتاة أحلامه، فصادفته في تلك اللحظة فتاة في الطريق ولما رأته يحمل الأشياء من السوق ضحكت وسخرت منه وقالت ((**أتراك صرت خادماً؟ مبروك إن شاء الله، فألقيت نظرة عطف مشوبة بالكِبر، وقلت ملغزاً ويدي على جيبي (أترين هذا الجبل؟ . وأشرت إليه .**

سيحمل الليل إليك صوتاً منه) ومضيت غير عابئ بضحكها وسخرها)) (المازني ، صندوق الدنيا ، ٢٠١٢: ٧٠).

كانت خيالات المازني واحلامه تذهب به بعيداً معتقداً منه أنه يستطيع أن يختفي أينما شاء،((**وهنا يلتقي الحلم مع الحكاية التي هي بدورها مجال لتمظهر رغباتنا الطفولية اللاعقلانية، بنفس اللغة التي يستعملها الحلم مما يجعلنا نرى في الحكاية أفقاً يستوعب أحلامنا**))(محمد فخر الدين، ٢٠١٨: ٦٠) ، وفي يوم من الأيام قصد حماره وامتطاه وذهب خارج المدينة إلى الجبل، ولم يبال الناس بخروجه فكان يعتقد أنه بفضل تلك الورقات قد أختفى وحماره عن الأنظار، ولم يشاهده أحد أو يسأله إلى أين تذهب؟ فوصل إلى الجبل وترك الحمار وأوى إلى كهفٍ صغيرٍ في الجبل واستلقى على الأرض وذهب في خيالاته يفكر في أمر الفتاة، فاستلقى على الأرض وانطلق يفكر في أمر الفتاة، وبعد لحظات ذهب في خياله بعيداً، إذ يقول: ((**فجمح بي الخيال فبدا لي كأني في التهليل والتسبيح والدعاء فجاءني رجل وجلس عن يميني لم ارَ في زماني أحسن منه ولا أطيب ريحاً، فقلت : من أنت؟ قال: أنا الخضر، جئتك حباً في الله عز وجل، وعندي هدية أريد أن أهديها إليك فقلت: وماهي هي؟ قال: هي أن تقرأ فقاطعته وقلت: كفى. كفى. لقد بح صوتي من القراءة فدع هذا وهات لي.**))(المازني، صندوق الدنيا، ٢٠١٢: ٧١).

ثم عاد بخيالاته وتصور أن الفتاة قد خرجت له حافية القدمين تبحث عنه في سفوح الجبل، ثم يدور حديث طويل بينهما حول الحب والهيام وهي تستنجد بعشيقها المغرم، ولما بالغ في تخيلاته حتى تذوّق قبلتها ، نهق الحمار! فانتهبه مذعوراً من حلمه اللذيذ، ومحى الصور الفاتنة من خيالاته، وقام من فراشه متثاقلاً وصلّى ثم شرع في التلاوة على نحو ما حتّمت الورقة، ولا يدري ما أصابه فيقول: ((**ولا أدري ماذا اصابني؟ ولكن الذي أدريه أني ظللت أقرأ وأقرأ في جوف الليل وأطلق بخور الجاوي واللبن ثم لم أعد أعي شيئاً، ولما قمت في الصباح كان ضوء الشمس قد غمر السهل والجبل، فخرجت من الغار وأنا لا أفهم، وأدرت عيني في كسل وفتور ثم تذكرت الحمار، فجمد دمي في عروقي، وأحسست العرق البارد يتصبب أين ذهب؟ وكيف يفك القيد عن أرجله ويحل اللجام عن الصخرة؟ ولا خير في الاطالة فقد سرقه اللصوص وأنا ملقى كالجثة في جوف الغار، بارك الله في جدي وفوائده...!**))(المازني، صندوق الدنيا، ٢٠١٢: ٧٣)، وبسخرية لاذعة ينهي المازني حكايته، فبعد أن استنجد بأوراق جده علها تفتح له أبواب الحياة وأن يحصل على الفتاة، لم ينفك حتى غاص في خيالاته وذهب به الجموح بعيداً فلم يحصل على شيء مما ذكر، بل لم يستطع أن يحافظ حتى على حماره، فبينما هو يقرأ تلك الوريقات سرقوا حماره، ونخلص مما سبق أن للخرافة تأثيرها الجلي على المجتمع، يرفضها الشرع والعقل لما لها من انعكاسات سلبية على المجتمع، فهي تغذي النفس الجموح نحو الوقوع في ظلمات الشرك وغياهب الوهم.

نخلص مما سبق أن الحكاية الواقعية عند المقاليين العرب، قد جاءت على مضامين مختلفة، الهدف منها الارشاد والنصح عن طريق العمل الادبي الخلاق، وما نلحظه في تلك الحكايات أننا نعثر في الحكاية الواحدة على مضامين مختلفة، منها التعليمية والثقافية والنفسية، وكذلك القيم الاجتماعية كالأخلاق والمبادئ وغيرها ، لذا فهي من الوسائل الناجعة لتقديم النصح والتوجيه نحو سلوكيات المجتمع السلبية.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم عبد القادر المازني (٢٠١٢) سبيل الحياة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
- إبراهيم عبد القادر المازني(٢٠١٢) صندوق الدنيا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
- إبراهيم عبد القادر المازني(٢٠١٢) قبض الريح، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
- أحمد حسن الزيات (١٩٦٦) وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مج ٢ ،، مج٣، مج٤، ط ٢ ،القاهرة.
- أحمد حسن الزيات(١٩٦٢) وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص، مكتبة نهضة مصر، ط٧ ، مج١ ، مصر.
- أدونيس(٢٠٠٥) زمن الشعر، دار الساقي، ط٦ ، بيروت.
- جميل صلبيا(١٩٨٢)المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج١ ، (د.ط)، لبنان.
- د. أنور عبد الحميد موسى، علم الاجتماع الادبي، دار النهضة العربي.
- د. حسن عبد راضي(٢٠١٣) المفارقة في شعر أبي العلاء المعري ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١ ، بغداد.
- د. عاطف عطيه(٢٠١٦) في الثقافة الشعبية العربية بنى السرد الحكائي في الادب الشعبي، جرس بروس ناشرون، لبنان، ط١ .
- د. مرتضى عليوي عبد الله (٢٠٢٠) الحكاية الشعبية العراقية، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد.
- الدكتور عبد اللطيف حمزة ،المدخل في فن التحرير الصحفي، ، دار الفكر العربي، ط٤ ، (د.ت):
- شاكر عبد الحميد (٢٠٠٣) الفكاهة والضحك رؤية جديدة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت.
- طه حسين، في فصول الادب والنقد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ت):
- ك، ب، درثفن (١٩٨٩) قضايا في النقد الأدبي ، ، تر، عبد الجبار المطلي، ط١، الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- محمد العمري (٢٠١٢) البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، افريقيا الشرق، الطبعة الثانية.

- محمد فخر الدين (٢٠١٨) الحكاية الشعبية المغربية بنيات السرد والمتخيل، دار نشر المعرفة.
- مصطفى صادق الرافعي (٢٠٢٢) وحي القلم: دار المعارف، ط ٤، ج١، ج٢، ج ٣ ، القاهرة.
- نبيل راغب(٢٠٠٠) الأدب الساخر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتب، (د.ط).
- نجاة علي (٢٠٠٨) مفهوم المفارقة في النقد الغربي ، مجلة نزوى، العدد: ٥٣ ، ١ يناير.
- نواف نصار(٢٠٠٧) المعجم الادبي، دار ورد للنشر والتوزيع، ط١ ، الأردن .